

تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"  
Quranic discourse presented in the novels of "Izz al-Din  
Jalaouji"

أ.د. الطيب بودربالة  
جامعة باتنة 1  
tayebouderbala@yahoo.fr

مديحة سابق<sup>1</sup>  
جامعة أم البواقي  
sabegmadiha@gmail.com

تاريخ القبول: 2020/04/26

تاريخ الإرسال: 2019/11/22

**الملخص:**

تهدف هذه الدراسة إلى تقصي الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي" بمصادره النصية المختلفة لما يحققه هذا النص من تكثيف للدلالات؛ لأنه يعكس الثقافة العربية ويصور المنظومة الفكرية للمجتمع في الرواية الجزائرية المعاصرة. متخذا من روايات "عز الدين جلاوي" نموذجا لأنها تشكل مرحلة متطورة في الرواية الجزائرية، حيث توسلت بجميع آلياتها المعاصرة التي يتفاعل معها المتلقي؛ لذلك سنحاول الوقوف على الخطاب القرآني آلياته وخصائصه وتحليل دواله وملفوظاته موضحين أشكاله التي ظهر بها في الأحداث وكيف تفاعلت معه شخصياته الروائية. **كلمات مفتاحية:** الدين، الخطاب الديني، التناس، الشخصيات، الرواية الجزائرية.

**Abstract:**

This study aims to investigate the exploitation of the religious heritage in the novels of AZZEDINE Djalawadji with its different sources. This text reflects the Arab culture and depicts the intellectual system of society in the contemporary Gazan novel. It is based on the stories of Ezzedine jalaouji. Contemporary mechanisms interact with the recipient so we will

<sup>1</sup> المؤلف المرسل

try to stand on the religious discourse and its mechanisms and characteristics and analysis of his functions and archives, showing the from that appeared in the events and how interacted with the characters Rawi.

**Keywords:** Religion, The religions speech, The contescualisation, Characters, The Algerian novels

#### مقدمة:

وظف الروائي العربي المعاصر النص الديني بمصادره المختلفة ليثري تجربته الروائية شكلا ومضمونا؛ لأن النص الديني داخل هذه الرواية يعبر عن سعة الثقافة الدينية وأهميتها فهو في الحقيقة استحضار للواقع الفكري والثقافي العربي ليس هذا فقط بل تعداه أيضا ليصبح تراثا حضاريا ولا نعني بالموروث الديني العربي الدين الإسلامي فحسب، بل حتى المسيحي واليهودي وغيرها من الأديان السماوية، ولهذا "كان التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام"<sup>1</sup>.

يلجأ المبدع في استدعائه إلى تقنية الخفاء والتجلي عن طريق إعادة تشكيل النص المستحضر (النص الديني) من جديد وفق ما يستدعيه النص الحاضر ليزوب بداخله، وتبدأ مرحلة الكشف والتعري من قبل القارئ في الوقوف عليه وإبراز مضامينه ودلالاته الخفية.

وقد استفادت الرواية الجزائرية من هذا التراث الحامل لطاقت تعبيرية لا متناهية، تنوعت توظيفاته، وتعددت طرائق تفعيلها، إذ يتم استلهاام النص الديني بطرق مختلفة تفرضها حاجة المبدع، وقدرته على التعاطي مع النص الخارجي، إما عن طريق استدعائه بلفظه أي: اقتباسه حرفيا والمقصود نقل نصوص واستيحاؤها من الحقل الديني المحيل على القرآن الكريم واستخدامها داخل السياق السردي للرواية، أو تحويره والإحالة عليه إشارة وتلميحا وهذا التوظيف غير مباشر، فالكاتب هنا يأخذ الآيات القرآنية أو كلمات منها في نسيج خطابه الروائي فلا يقصد استحضار آية كاملة من القرآن، بل يقتطع منها جزء ويوظفه في سرده الروائي.

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

ويُلجأ المبدع إلى هذا النص الثري في كل جوانبه "لما يحمله من طاقات إيحائية وإشارات تخدم غرضه وتكشف عن محور رؤيته الأساسية، يستلهم منه ما من شأنه أن يثير القارئ، ويجعله أكثر تفاعلا مع النص"<sup>2</sup>.

لذلك نجد النص الديني قد حضر بمختلف مصادره في الأعمال الأدبية لأنه يشكل جزءا من ثقافة مجتمعنا العربي فهو يحدد وجوده الكياني والاعتباري ف: "الاستناد إلى الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في تحليل ظاهرة من الظواهر في النص، بإمكانها أن تثري النص، بإيحاءات جمالية، ودلالات معنوية وفنية"<sup>3</sup>، راح النص الروائي يتفاعل مع النص الديني ويستثمر فيه بما يَألف ويوافق فكرته ومعناه أو ما يحيل إليها ما جعله رافدا ثريا ومنهلا غزيرا للمبدعين أضفى على الرواية ملامح الخصوصية والتميز.

### 1- توظيف الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي": استقطب

العمل الروائي لدى "جلاوي" منحى كرس به خصوصية بث من خلالها هويته، وكان النص القرآني معلما بارزا وملحما واضحا تحصنت به الرواية، فاكتمت قدرة على الكتابة والإبداع، أنتجت فغيرت خلقت أنماطا فنية جديدة من الكتابة والتعبير، وأهم ما يميزها حول الخطاب الديني الذي شكل بؤرة مركزية مميزة داخل النسق الروائي المعاصر، لاعتباره شكلا من أشكال الخطاب السياسي، الاجتماعي والثقافي الذي يندمج فيه الكاتب ويكشف رياء المجتمع الذي يتمظهر بالتدين الذي يتوقف عند حدود الشكل الخارجي: "... كان المكان فسيحا... يتوسط كل ذلك بركة صغيرة بها نافورة تمج الماء بهدوء، وخلف البركة بسطت زرابي ونمارق، يجلس الأمير في قلبها متكئا على جدار، مرتفعا قليلا عن المحيطين به، وخلفه راية كبيرة كتب عليها بالأبيض "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتحتها بالضبط "إن الحكم إلا لله"، ... وتوزع في المجلس كهول وشيوخ بألبستهم البيضاء، ولحاهم التي عبث الشيب بأغلبها، ودون أن تكف أصابعهم عن العبث بحبات السَّبْحَة، ظلوا يتبادلون حديثا يرتفع حيناً حتى يصير جلبة"<sup>4</sup>.

ذلك أن سلوك المتدين عبر ما يوحي به المقطع السابق هو التسبيح ولبس القميص وإطالة اللحية، فهو يحيل على خطاب مهيمن يسعى الكاتب إلى تفويضه عبر فضح هذه الازدواجية التمويهية إبداع مفهوم جديد لله والسلطة عن طريق القتل (العشرية السوداء).

وفي المقطع آخر يقول الكاتب: "سكت أبو سليمان كأنما ابتلع لسانه، أعاد الأمير نحنته، يمهّد الطريق لكلماته، حمد الله وأثنى عليه بما يليق بمقامه، وصلى الله على رسوله وصحابته جملة، وخص بالذكر أبا بكر وعمر، وقال:

- ولعل أحدكم يغمز في غيبتنا ويقول ما بال هؤلاء حادوا عن سنة رسول الله وصحابته أبا بكر وعمر، وقال، فو الله العظيم ما يسرنا ذلك ولو ملكنا كنوز سليمان بن داود، وصناديق قارون التي تنوء بحملها العصابة من أولى القوة من الانس والجن، ولقد منّ الله علينا فكحل أبصارنا بأنوارهم مذ خرجنا إلى هذه الدنيا الفانية، ثم قضينا ما مضى من أعمارنا بين تعلم لكتاب الله وسنة رسوله وجهاد في سبيله، ونسأل الله أن نلقاه مخلصين له الدين، على درب سادتنا وشهدائنا أبي الخطاب عبد الله بن السميع المعافري، والحارث الحضرمي، والإمام أبي الزاجر اسماعيل بن زياد النفوسي، رضي الله عنهم جميعاً<sup>5</sup>.

يتمتع الخطاب الديني بحضور مكثف داخل هذه التجربة الروائية التي تحددت بسياق فاعل ومتفاعل مع المفاهيم الفكرية والفلسفية ويصور المنظومة الفكرية للمجتمع في نصوص مختلفة "كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية، وتصوير شخصية البطل في ضوئها وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية بالإضافة إلى التنويع في إدخال النص الديني في الرواية"<sup>6</sup>.

هذا التوظيف خدم النص الروائي المعاصر ما حقق له سمة الجمالية ويظهر ذلك في مقطع "العجائز والقمر" "فقد عشق القمر المدينة وهام بها حبا وسعى إلى الخلوة بها، فلما تم له ذلك راودها على نفسها فاستعصم وفر فأمسكت به فقدت قميصه من قبل وشهد شاهد من أهلها...."<sup>7</sup>، وهذا ما حقق له الجمالية وعلى هذه الوتيرة كان استثمار النص القرآني في روايات "عز الدين جلاوجي"، حيث بين فيه العديد من القضايا مركزا على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآراء الفقهية التي توزعت عبر مساحات الرواية، وكذلك مختلف الآليات الفنية للتعبير عن هذا الخطاب كالحوار والسرد والحكي وغيرها من التقنيات الروائية.

**2- توظيف الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوجي":** اتضح لنا من خلال قراءتنا لروايات الروائي الجزائري "عز الدين جلاوجي"، اعتماده على نظام التداخل من خلال الأنساق الثلاثة الماضي، الحاضر والمستقبل، وعدم خضوعها لتعاقب النظام الزمني، وسبب ذلك تمرد وتسلط السرد الاستذكاري على الخطاب

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

الروائي وحيازته على أكبر حيز من السرد، وذلك عبر تقنية التذكر لأحداث ماضية، لأن أغلب رواياته عبارة عن رحلات وأسفار شقت طريقها إلى عوالم مجهولة وأخرى معلومة استحوذ عليها الزمن الماضي، حيث يشكل منطقته الذي يصدر عنه ومساره الذي يقوم عليه ومداره الذي ينغلق عليه، باعتبار الروائي ذات ساردة لم تنقلنا إلى الماضي بالطريقة المألوفة بل بشكل فني بارع تعدى إلى الخيال وزمن الحكيم، يتخطى الزمن العادي المعروف لدينا بل يتعدى إدراكنا ويفوق كل تخيل ليغوص بنا في أعماق خيالنا ليصف ظلم البشر واستحواذ الأناثية وعبادة المادة والسعي إلى التسلط على حساب سعادة الناس، وفي كل هذا مستثمرا القرآن الكريم مشكلا الملمح الأشد بروزا في الرواية العربية المعاصرة فهو منهل خصب لجميع أنواع التفاعلات النصية<sup>8</sup>.

واللجوء إلى القرآن أو الكتب السماوية الأخرى، يفجر لدى الكاتب طاقات دلالية وإبداعية جديدة، فالتفاعل مع هذه الكتب المقدسة باقتباس نصوصها يمنح الروائي بناء نصه الجديد، وهذا النوع من التناص ليس مجرد اقتباس للنص القرآني أو للتزيين بقدر ما هو استيعاب للنص وتطويعه<sup>9</sup>.

لهذا يمكننا القول أن التراث الديني شكل حضوره في كل العصور وعند كل الأمم مصدرا سخيا وينبوعا لا ينضب من مصادر الإبداع الذي يستمد منه الأدباء النماذج والموضوعات والصور الأدبية.

هذه المرجعية الدلالية التي سجلت حضوره القوي والفعال في روايات "عز الدين جلاوي" لخصوصيته، وتميزه وقدرته على النهوض بانفعالات المبدع وتجاربه، والتأثير مع الوجدان الجمعي، لأن المعطيات الدينية<sup>10</sup>، "تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة، بما قدمت من تصورات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوعة"<sup>11</sup>.

ومن أمثلة الاقتباس من القرآن ما جاء على لسان السارد: "ارتفع صوت المقرئ: [أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ] (القمر: 1)، تساءل فاتح اليحيوي في سره عن أية ساعة يتكلم...؟ لماذا تحزن هذه الأمة، بهذا الشكل لموت واحد منها، وهي جميعا مينة؟"<sup>12</sup>.

إن هذا النص القرآني يكتسب دلالاته، من خلال السياق الذي أورد فيه، فيأتي هذا الشاهد القرآني ليبدل على قرب فناء هذه الأمة، التي أصبحت تعيش حالة

احتضار، وهو مقتبس من "سورة القمر" والتي تدل في معناها على اقتراب يوم الساعة "القيامة" وهو نفس المعنى الذي استثمره الروائي في نصه في قول آخر "جلسنا صامتين على كرسيين ملتصقين بالجدار بعيدا عن تجمع الأمير وحاشيته، لقد كانوا جميعا يغرقون في تحليل حقيقة المركبات الشبحية، قال الأمير كأنما يقاطع غيره:

أما أنا فأسميها الجوّاري المضئية، ألم تر أن لا فرق بينها وبين النجوم، غير أنها أصغر حجما، تلمع فجأة ثم تتطفئ، لقد ذكرتني بقوله تعالى: [فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (16)] (التكوير: 15-16)، ولا أظن إلا أنها من مكائد الغرب اللعين في التجسس علينا، من أجل الاستيلاء على ذهب العصر، بتزول الشمس، وغاز الصخور.

قاطع شاب يجلس عن شماله قائلا بحماس فياض: "[وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ] (الأنفال: 30)، لن يطفئوا نور الله ونحن له وقود يا أمير المؤمنين".

فالمتمأل لهذا المقطع يجده حافل بالآيات القرآنية، وهي ظاهرة بارزة في نسيج أدب الروائي "عز الدين جلاوجي" على مستوى الصياغة والتشكيل أم على مستوى الدلالة والرؤية، فقد تجلى الخطاب اللغوي الديني في أعماله الروائية من خلال أساليب وتراكيب وألفاظ متنوعة تستحضر جميعها اللفظ الديني الإسلامي الذي تجلى في لغة القرآن الكريم، وهذا ما وضحه الاقتباس السابق فالأول وارد من سورة التكوير الآيتين (15 و16) ووظفت بالمعنى ذاته الذي ورد في الآيتين بمعنى حركة النجوم والكواكب ليثبه المركبات الشبحية بها، ووجه الشبه هنا صغر الحجم والإضاءة، لكن دلالة الأولى أنها تستعمل للتجسس، أما الثانية أوجدها سبحانه وتعالى لتهدي بها في ظلمات البر والبحر (النجوم) أما الكواكب لتكون سكنا لنا.

أما الاقتباس الثاني لقوله تعالى: [وَإِذَا تُنذِرُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَأُفْنِنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] (الأنفال: 31)، فورد في سورة الأنفال الآية 31 ليبين أن المكر نوعان: مضموم ومحمود فالأول مكر الإنسان للإنسان وهو المعنى الذي ورد به في النص الروائي، أما الثاني فهو مكر الله سبحانه وتعالى بعباده ولكن مكرنا حسنا دون إلحاق الضرر بهم لكن لينوهم وينبههم إلى الاهتداء للطريق الصحيح.

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

وقد مثل الخطاب الإسلامي بؤرة ذلك الاهتمام في الخطاب الديني لما له من دور في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، كما يعتبر الدين من أهم العناصر التي ساهمت في قيام الحركات الاجتماعية لارتباطه المباشر بمشاكل الواقع وتحدياته، وما يوضحه هذا المقطع الممزوج بالنص القرآني المتألف في معناه بما يناسب النص الروائي: "... أسندنا ظهرينا إلى جدار المغارة، والتصقنا كتفا لكتف، أمسكت يد هبة بين يدي حمامة في عشها الدافئ، مازال الشيخ في مكانه لا يبرحه ولا يغير جلسته، لا هم له إلا الصلاة، لا يأبه بكل الذي يجري حوله، تخيلته وحده مصباحا يشع طهرا وحباً، في بحر من الدم الأسود البغيض، بدأت أشعة الفجر تلوح باحتشام، وعلق الكون كله حناجره، فساد الصمت في كل مكان، وغشى العيون نعاس قاهر، غير أن هديرا تسلل فجأة من اتجاه الواديين كأنما هو اندفاع السيل العرمرم، وتهاطل من فوق رؤوسنا، كأنما الرعب يصب جام غضبه فوق الجبل، وهرع الجميع إلى سيوفهم يتمشقونها، غير أن الأمر كان قد فات، وأسقط في أيديهم، وقفت مع هبة عند مدخل المغارة نتابع المشهد، صاح الزعيم:

- الخوارج يحاصروننا.

ووصل صوت قائد جند الرستميين الذي تعرفنا عليه بيسر، متهددا متوعدا.

- [ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ] (المائدة: 33)<sup>13</sup>.

حاول الروائي "عز الدين جلاوي" أن يبرز لنا هوية الشعب الجزائري المتشعب بالقيم الإسلامية، وغايته في ذلك التوافق مع المتلقي والتجانس مع الفكر الديني، والاقتراب من واقعه رغم أن الرواية ذات بعد خيالي بحت، وتضمنت آليات جديدة في السرد، ورغم ذلك التزم الكاتب بالخطاب القرآني الذي يقترب كثيرا من شعور وأحاسيس المتلقي، ويلامس واقعه المعاش من خلال الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله والابتعاد عن كل فساد من شأنه أن يخزي الإنسان دنيا وآخرة.

ولأن الحوار آلية من آليات السرد عمد الروائي إلى توظيفها توظيفا شاملا شمل رواية "العشق المقدس" ووظف من خلالها الخطاب الديني؛ ليضفي طابعا إلزاميا جادا على شخصياته خاصة أثناء التعبير عن مختلف المواقف، وفي تعبيره

عن موقف الراوي الأساسي في الرواية مصرحا لأنه سارد عليم بأحداث الرواية يوزع الأدوار والمواقف على شخصياته ملزما إياها بكل ما تقوله، ومن أمثلة ذلك:

"وأقبل رجال الشرطة من جديد مدججين بالسيوف، وسريعا ما استل أتباع ابن فندين سيوفهم وشكلوا صفين كبيرين لحماية زعيمهم.

وقف الفريقان متقابلين وقد توجس كل منهما من الآخر، وصاح ابن فندين من خلف الصفوف ورد عليه رئيس الشرطة:

- قاتلك الله يا رأس الفتنة، ومتى عرفت الله ورسوله؟

وأسرع العميد يقف بينهما، رافعا يديه، صانحا في الجميع.

- [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] (الحجرات: 10)، [ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ] (المائدة: 32)<sup>14</sup>، وهذا إن دل فإنه يدل على تشبعه بروح وتعاليم الدين مذ طفولته، وتلمس هذا التأثير وتلميحه في حضور النص الديني في أعماله هذا ما أعطاهما بنية لغوية محكمة مع الخطاب اللغوي القرآني بصورة مكثفة وعلى عدة أوجه.

ف"عز الدين جلاوي" عمد على تنصيب رواياته بآيات قرآنية، وهذا ليزداد التفاعل والتلاحم بين النص النثري والنص القرآني، وليثبت نوعا من أفكاره التي يوحي بها، فاستحوذت نصوصه على تنوع كبير من التأويلات مستنبطة بتأويلات دينية توحى في معظمها إلى تحريم القتل وعقوبته والخسران الذي يلقيه صاحبه دنيا وآخرة، كما أن هناك دعوة جلية إلى اتحاد المؤمنين والحفاظ على الأرواح.

كما نذكر خضوع الرواية إلى نسق جديد ما يعطي النص بعدا آخر من قدسية الآية القرآنية في بعد معناها وبريقها، وكل الآيات القرآنية لها أغراض واضحة اتكأ عليها صاحب النص في إثراء نصوصه التي أولها المتلقي، فأنتج صورا وإيماءات ترسخ في الذهن، تؤدي المعنى في السياق الديني.

ومن بين الروايات كذلك التي لها أثر في التعالق النصي ورمزا في فهم موقفه واقتباس ومحاكاة النص الديني وقصصه وفق تحويلات تروم منح قوة أسلوبية للنص مع خلق مقاصد جديدة لرواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر".



## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

وفي الحديث عن توظيف النصوص المقدسة "القرآني" هو نقل نصوص واستيحاؤها من الحقل الديني المحيل على القرآن الكريم واستخدامها داخل السياق السردي للرواية، ويظهر التوظيف للنص القرآني في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" بأكثر من شكل.

الأول: وهو التوظيف المباشر، فقد تعامل الروائي بشكل مباشر مع القرآن صراحةً وتنصيحا في مواضع هي: "... أنهى الجميع العشاء، فوقف القايد عباس وهو يمسح فمه بمنديل حريري أحمر، ونقل بصره في الجميع فنهضوا منصرفين من الزاوية التي كانوا ينحصرون فيها بعيدا عن عباس وضيغه، قال الشيخ عمار، وهو يعدل برنسه في اعتداد:

جواب الأحبية الأولى هو كلمة "ممددة"، في الآية [إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (9)] (الهمزة: 8-9).

أنزلها سبحانه وتعالى في تاركي الزكاة، ولا يتصدقون من مال الله سبحانه وتعالى فمصيرهم نار جهنم، وعلاقتها بالنص السردي هي استيلاء الخونة والقياد التابعين لفرنسا على أراضي وأموال الفقراء وكسر شوكتهم بدفعهم إلى الفرار من القرية.

كما نجد التناص في إشارات أخرى من رواية "سرادق اللحم والفجيرة"، قوله تعالى: [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] (الحج: 46)<sup>15</sup>، والمقتبسة من قوله تعالى: [أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] (الحج: 46).

والمقصود من هذه الآية أن الله مكن للإنسان المؤمن ما تمناه في الدنيا، لكن ما إن حباه حتى تسلط وتجبر واستبد فحاد عن الطريق المستقيم، فكان أن عمى الله سبحانه وتعالى قلبه فازداد في طغيانه إصرارا وتكبيرا.

وفي سياقات أخرى يوظف الروائي نصوص قرآنية يمكن أن نذكرها:

1- قال تعالى: [وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ] (آل عمران: 159)<sup>16</sup>، ومعنى هذا النص الحث على المشورة في أي عمل نقوم به لأنها صلاح في الدنيا والآخرة.

2- يقول الراوي "... ولكنهم سرعان ما هرعوا للمسجد لصلاة المغرب، التي استغلها الإمام عبد الوهاب، ليلقي في الناس خطبة حماسية، كشف فيها ظلاله النكار، وخروجهم عن طريق الحق، واصفا إياهم بأنهم نكاث، ومنتها شعيب المصري بالطمع والإمارة، حاثا الجميع على الدفاع عن دولتهم، دولة الحق التي سقاها آباؤهم وأجدادهم بدمائهم وأرواحهم، مستشهدا من القرآن بالآية [وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] (الحجرات: 9)، ولقيت خطبة الإمام تجاوبا كبيرا، فغص المسجد والساحة وامتلأ المكان كله بصيحات التكبير استعدادا لقتال الفئة الباغية<sup>17</sup>. فالآية تعني محاربة الظلم والظالمين حتى يهتدوا إلى أمره سبحانه وتعالى.

وهذا الاستثمار عبر مجموعة من الأقوال السردية المتضمنة النص القرآني "الذي أسهم بوصفه عنصرا رافدا في تشكيل الفضاء اللغوي للرواية، نظرا لما تتوفر عليه لغته من فصاحة وبلاغة وقدرة على الخلق والتصوير"<sup>18</sup>، هذا الاستدعاء الصريح أكسبه تأثيرا ومقروئية في وجدان القارئ وذاكرته.

أما الشكل الثاني للتوظيف فهو غير مباشر، فالكااتب هنا يأخذ كلمات من آيات قرآنية أو يقتطع منها جزء ويوظفه في نسيج خطابه الروائي "فتكون العلاقة في هذا الحال بين النص الحاضر والنص الغائب علاقة مشابهة، لا يحدث أي تغيير للنص الغائب، سواء على مستوى التركيب، أم الدلالة، أما السياق فيأتي في كثير من الأحيان على شكل تنصيص"<sup>19</sup>.

ويمائل ذلك هذا المقطع الوارد في قصة "العجائز والقمر": "... وقالوا إن القمر قد عشق المدينة وهام بها حبا وسعى إلى الخلوة بها فلما تم له ذلك تراودها عن نفسها أقصد راودته عن نفسه لأنها شبقية فاستعصم وفر فأمسكت به فقدت قميصه من قبل وشهد شاهد من أهلها قال:

إن قدت قميصه من قبل فكذب وكانت من الصادقين...

وإن قدت قميصه من دبر فصدقت وهو من الكاذبين...

هي كذبت وهو صدق... هي صدقت وهو كذب.

وما زالت المدينة سعيدة إلى اليوم وما زال القمر حزينا إلى اليوم"<sup>20</sup>.

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

تحضر ضمن هذا النص "قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع زوجة العزيز" هذا النص الحاضر في ذهن المتلقي ما يؤدي حضوره في مستوى القراءة. أي: أيهما أحب الآخر حبا شديدا؟ وأيهما مكر بالآخر؟

والملاحظ في هذا المقطع وفي الرواية ككل هو تكسير الحواجز بين اللغة القرآنية واللغة العادية، فلا توضع الآيات القرآنية بين مزدوجتين كل ذلك انسجاما وطريقة التداخل التي عمد إليها الروائي في محاولة كسر الحواجز بين اللغات، والغاية من وراء ذلك هو معايشة الواقع.

وفي سخرية واضحة نجد الروائي يعتمد التشخيص على لسان الحيوان وأبي حيوان فالحيوانات التي ذكرها كلها قذرة تعيش بين البالوعات، هذا يؤكد لغته المعبرة عن الرفض والتوتر والنقد للواقع، ولسياسة الحكام فهنا "خليط من فن الهجاء والسخرية"<sup>21</sup>، عمد من خلاله السارد "كشفت وإضاءة لجانب من جوانب الحياة التي يختلط بعضها مع بعض"<sup>22</sup>.

ولأن الروائي يؤمن باستراتيجية الإبداع والتميز لجأ إلى تقنية التعالق النصي وخاصة الديني لإثراء نص هو رغبة منه في نقل الفعل من الذاتي الفردي إلى الغيري الجمعي، ورواياته عبارة عن "حقل مزحوم حتى حافته بعلاقات التناص المختلفة"<sup>23</sup>.

ما خلق ازدحاما نصيا على مستوى النص الواحد جعله يشبه اللوحة الفسيفسائية ليغدو نسيجا متشابكا متعدد الحضارات والمشارب، وهذه الميزة ميزت نصوصه، التي تأخذ القارئ في عوالم يرهقك البحث عن جذورها، وإذا كانت اللغة تخرج عن دائرة التقليد إلى دائرة الدين فإن هذا فيها متعمد وواضح وهو ما توضحه هذه المقاطع:

"وأذن فيهم مؤذن الغراب فهرعوا ملبين ينسلون من كل فج عميق... عميق... من تحت الأرضفة... من عمق البالوعات... وما كاد يعلو فوق فوق حتى تدثر الجميع صمتا ونصبوا آذانهم سمعا... إنصاتا... طاعة... كأنهم في حضرة إله جبار... قهار... دمار... مكار"<sup>24</sup>.

وبما أن اللغة الفنية تروم "إثارة انفعال لا تقرير وقائع"<sup>25</sup>، فإنه يسعى إلى تحقيق الغرابة اللغوية والتعبيرية لتحقيق المقصدية المطلوبة وهي نقد الواقع وفضح الممارسات، وهو هنا يلجأ إلى قلب المعاني والشخصيات، حيث الكلمات تنزاح عن

معانيها الأصلية وتدخل في مناهة الغموض الذي يشغل فكر القارئ الذي لم يكن يتوقع انزياحا على مستوى النص المتناسق، إذ المبدع يكسر سياق العبارة لإنتاج الدال الذي يبحث عنه ف "لا يتبع منطق الكلام... وإنما يقوم بإنتاج الدال، إنها حركة تجمع، بتتابع، بين الإيجاب والسلب..."<sup>26</sup>.

هكذا نجد أن الروائي "عز الدين جلاوي" انطلق من النص الديني متخذاً منه منطلقاً للتعبير عن رؤيته لهذا الواقع الذي أصبحت المصلحة عنوانه أما البقاء فلأقوى وأنا وورائي الطوفان: بهذه المقولة عبر الروائي عن واقعه المليء بالتناقضات ليأتي بنص "ديناميكي" متجدد متغير من خلال تشابكه مع النصوص الأخرى وتوالده من خلالها<sup>27</sup>، فهو لا يتفق مع الحاضر، بل يغوص في أعماق الماضي يأخذ منه ليستشرف للمستقبل، لأن الأزمة تمتد جذورها في الواقع الغربي والإسلامي البعيد.

وبهذا يهيمن النص الديني كعنصر متناسق وفعال ومتفائل مع العناصر الإبداعية الأخرى في تكوين النص الروائي بناءً يقوم على مقومات تقع اللغة في مقدمتها، بما تمثله من عنصر بناء حيوي يخلص النص من معقله الكلاسيكي، ليبنى فضاء متحرراً منتفخاً على كل الثقافات، محققاً بذلك مقولة أن: "أي نص - مهما كان- ليس إلا ركاما لنواة معنوية موجودة من قبل"<sup>28</sup>.

وما يلاحظ محاولة الروائي من خلال هذه التوظيفات الدينية للقرآن الكريم، سواء على الاستعانة بالآيات القرآنية أو الألفاظ، مدى تأثره الواضح بالقرآن الكريم، ولقد جاء التأثير على صعيدين اللفظ المستخدم والمعنى المقصود أيضاً، حيث حاول الاعتماد على وازعه الديني لمعالجة قضاياها ومحاورة شخصياته الورقية، حواراً حضارياً ينم عن شخصية الروائي الراقية التي هي في بحث مستمر عن الأفكار والأساليب السامية والتي من شأنها أن تلج إلى عقل القارئ العادي وقلبه أيضاً، ولا شيء أعظم وأيسر للفهم والحفظ من منابع الذكر الحكيم.

وفي هذا الإطار نجد الدكتور: "جمال مباركي" يقول عن القرآن الكريم بأنه: "النص المقدس الذي أحدث ثورة فنية على معظم التعبيرات التي ابتدعها العربي شعراً ونثراً، ليخلق تشكيلاً فنياً خاصاً متناسقاً المقاطع تطمئن إليه الأسماع إلى الأبد في سهولة ويسر"<sup>29</sup>.

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

ورغم طابع السخرية في الحكي، إلا أن قدسية القرآن الكريم لم تمس، وهذا بديهي لأن الأدباء في كل الأحوال: "لا يحاورونه لأنهم يخافون ذلك لأن القرآن يظل نصا مقدسا متعاليا... فهو منتهى البلاغة ومستقبل الكتابة مهما كان نوعها وتاريخها"<sup>30</sup>.

لتسند المهمة في هذا لامكانيات المبدع ودورها في ترتيب عناصر العمل الفني، وتفعيل استثمار النصوص الخارجية وذوبانها فيه بحيث يشكلان كلا لا يمكن فصله، وفعالية نصية تسعى لبلورة رؤية جمالية ودلالية، تدهش القارئ وتحفز فيه حب البحث في الأعماق، وهكذا يبتكر المبدع مع كل رواية، قصة شكلا ولغة متجاوزا بذلك نفسه وغيره، ولما لا التفرد والتميز عن غيره، في أنه يعي تماما الغاية من وراء توظيف كل آية أو لفظة قرآنية في أعماله الروائية، وهذا ينم على مدى ثراء وازعه الديني وفهمه الحقيقي لمعاني القرآن، لأن القرآن ليس للحفظ فقط بقدر ما هو للفهم والتدبر في آياته ومعانيه، وهذا ما نلمسه في قوله تعالى: [ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (23) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (25) ] (محمد: 23-25).

ويبدو جليا من خلال التوظيف الجلاوي إلى فهمه وتعمقه للدين، ويأتي أيضا توظيفه للقرآن الكريم كغيره من الأدباء العرب الذين عملوا على توحيد أمتهم على كلمة الحق، وذلك من خلال لغة الضاد ونشر تعاليم الدين الإسلامي، والدليل على ذلك ما قاله على لسان شخصياته باعتباره سارد عليم - " ... رد الشيخ بثبات، دون أن يتحرك من مكانه: الله في السماء، هذه عقيدتنا، فكيف تنفيه يا عدو الله، وهو القائل: [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] (طه: 4)، والقائل سبحانه: [ أَلَمْ نُنْمِمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ] (الملك: 17)، قال الشاب، وقد ارتفع صوته، يقلب نظره في الجمهور، كأنما يطلب دعمهم: وما تفعل بقوله تعالى: [ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ] (الزخرف: 84).

وقوله: [ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَانْمَوْا وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ] (البقرة: 114).

ما قام به الروائي من خلال تضمين نصه للآيات القرآنية استطاع أن يشكل جزءا من مخزونه الثقافي الديني للقارئ ليكون من خلاله القاعدة التي يتحرك عليها،

فقد قام بامتصاص الآيات والمفردات وهذا من أجل إعطاء خطابه النثري قيمة فنية خاصة ذات تأثير عميق في نفس المتلقي بعد أن يمنحها رؤيته الخاصة، وهذا التوجه لدى الروائي هو توجه واع ومقصود ولم يكن صدفة إذا علمنا أن معظم أعماله لا تخلو من هذا التناسل.

لأجل ذلك قمنا بعملية استقراء واستقصاء لمجمل المواقع المضمنة معلقين على الأكثر منها ومثبتين البعض الآخر؛ لنستخلص أن كل حدث تعلق بالواقع العربي الجزائري المزري محاولاً الكشف عن واقع التجربة التي عاشها، فتكشف عن نفسية تواصل التشاؤم دون توقف في سفر يكشف عن دلالات متعددة تستند إلى التضاد والتشابه حيث المفارقة بين قسوة العالم الأرضي مقابل عدل السماء بشفافيته وإعجازه.

### 3- الأبعاد الجمالية والفنية لتوظيف النص القرآني في روايات جلاوجي:

يعتبر الخطاب الأدبي "صياغة مقصورة لذاتها، وصورة ذلك أن لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعنى جوهري، فبينما ينشأ الكلام العادي عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران والملكة، نرى الخطاب الأدبي صوغاً للغة عن وعي وإدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور للدلالات، إنما هي غاية تستوقفنا لذاتها، وبينما يكون الخطاب العادي شفاف نرى من خلاله معناه ولا نكاد نراه في ذاته، نجد الخطاب الأدبي على عكسه ثخناً غير شفاف يستوقفنا هو نفسه قبل أن يمكننا اختراقه، فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجزاً أشعة البصر، بينما الخطاب الأدبي حاجز بلوري طلى صوراً ونقوشاً وألواناً تصد أشعة البصر عن اختراقاته"<sup>31</sup>، لهذا "استقطب عديد المجالات والتخصصات التي شكلت العلامات الدالة على سيرورتها المفهومية ومنها المجال الأدبي"<sup>32</sup>.

اهتمت الرواية الجزائرية شأنها شأن الرواية العربية بالامتصاص القرآني لتعدد مذاهبه ومشاربه، وذلك بتوظيف نصوصه ومضامينه المختلفة، حيث اهتم الروائيون بالنص القرآني لتوصيل دلالاتهم للقارئ وتكثيفها من خلال النصوص القرآنية المختزلة والمعاني المستوحاة والإيحاءات الكثيرة والأفكار المتعددة، وقد شمل التوظيف للنص الديني مستويات عديدة ومختلفة "كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية، وتصوير شخصية البطل في ضوءها، وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية، بالإضافة إلى التنوع في إدخال النص الديني

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

في الرواية<sup>33</sup>، حباها منزلة عالية ومنفردة جعلتها تؤثر في القارئ لما تتمتع به اللغة الدينية من حضور وتأثير خاصين في الوعي الجماعي<sup>34</sup>.

ولأنها متدثرة به (النص الديني) فهي تعلن عن رصد جمالياته، وهذا ما يؤكد "تزفيتان تودوروف" في قوله: "ليس العمل الأدبي في ذاته هو موضوع الشعرية، إنما ما تبحث عنه الشعرية هو خصائص هذا الخطاب الذي هو الخطاب الأدبي"<sup>35</sup>، والذي يرى "سعيد يقطين" أنه: "الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، وقد تكون المادة الحكائية واحدة لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولة كتابتها ونظمها فلو أعطينا لمجموعة من الكتاب الروائيين مادة قابلة لأن تحكى وحددنا لها سلفا شخصياتها وأحداثها المركزية وزمانها وفضائها لوجدناهم يقدمون لنا خطابات تختلف باختلاف اتجاهاتهم ومواقفهم وإن كانت القصة التي يعالجون واحدة"<sup>36</sup>.

فالمادة الحكائية حسب "سعيد يقطين" تجتمع في الحدث (الفعل)، الشخصية (الفاعلة)، الفضاء والتي تعد القاعدة التي يبني بها العمل الروائي إضافة إلى ترابط الدوافع الداخلية والأيدولوجية كمكونات أساسية.

ومن بين الأبعاد الجمالية التي استفادت منها الروايات الجلاوية توظيف النص القرآني مدمجا في عبارات الخطاب الروائي للشخصية بتصرف يقتضيه السياق اللغوي وذلك بفضل ما يحمله النص القرآني من جمال، وذلك عبر "أسلوبه الخاص به في انتقاء أدوات التصوير، وتنويعها، ودقة استخدامها فهو يصور باللون والحركة والإيقاع..."<sup>37</sup>.

كما أن استخدام النص الديني يعتبر وسيلة فنية، لجأ إليها "جلاوي" لتوظيف شذارته المقدسة وتحسين اللغة والأسلوب ما يفضي على النص جمالية أكثر، ويجدر الحديث عن القصص الدينية التي يعد استثمارها رؤية فنية وفكرة واضحة، فحازت بذلك جمالية التناسل على كل أبعاده الفنية بحيث قدم حضور هذه النصوص القرآنية رؤية جديدة خاصة بالراوي تعبر عن حبه المطلق للوطن ورفضه للاستبداد، الظلم، القمع، القهر وغيرها وما يمثل ذلك المقطع التالي: "وحين يعود مساء يركن للصمت أيضا، يتسلل إلى غرفته، يتسلق سلم الأحلام ويرفرف كالفرشات والطيور، ويخر في نفسه الظلم، ويخر في نفسه أن يرى الآخرين يتألمون يتمنى لو كان يملك قوى سحرية فيحيل شر الناس خيرا، وألم الناس سرورا، وظلم الناس عدلا ومحبة، لطالما سأل نفسه: من هم ومن فرنسا؟ وما علاقتها بهم؟ ولماذا هي هنا تقمعهم وتقسام معهم

غلاتهم الشحيحة؟ وهم ليسوا سواء، ملامح ولغة ديناء، وكلما ذكر كلمة النصارى واليهود في القرآن، إلا وتذكر قول معلمه في الكتاب، إنهم فرنسا، وتذكر قول معلمه في الكتاب، إنما فرنسا، وتذكر تعليقه مستشهدا الآية "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم"<sup>38</sup>.

يتضح من هذا المقطع الغدر الذي تكنه فرنسا للشعب الجزائري وزواله بإتباعهم لدينها، وهذا ما لا يرضى الشعب الجزائري، والروائي الجلاوي وظف هذه الآية توظيفا يتناسب مع المقصود الذي يرمي إليه على أن الإنسان المؤمن بمبادئه التي لا يمكن أن يتخلى عنها حتى وإن قتل، وخصوصا إن كان دينه ووطنه وعروبته فهو ينسب بهم، ومهما كان الثمن غال لن يتخلى عن عقيدته.

هكذا يثبت هذا المقطع الذي يصور من خلاله الروائي حال المجتمع، ويكشف قناعاته وشخصياته وأفكاره في قالب جمالي من خلال توظيف ثنائيات متناقضة تتناغم أكثر وتقترب من بعضها وهي في تماس مباشر مع ثلاثية السرد (الروائي، المتلقي، النص)، ليختمها بمدلول قرآني يصور عمق الخلفية الشعبية ليفضي نقاط إحساسه بالجمال من خلال نص ديني زاد من قيمته الفنية على مستوى اللغة الموجزة المكثفة من خلال امتزاج بين اللغة الدينية واللغة الحديثة التي تقوم عليها النصوص الروائية وبهذا يتحقق الامتزاج بين الدين والمعاصرة في لغة الرواية.

وفي مقطع آخر نجد نصه يفتح على نصوص قرآنية منها ما ورد في قصة "الطوفان والفلك" "... دخلت المدينة أحمل على كاهلي ألواحا وأجر جذوعا خلفي مما أثار الغبار حولي... تجمهروا حولي عننت وجوههم إلي... في عيونهم دهشة كبيرة وابتسامات بلهاء هُون... لعلهم عجبوا لسيدهم يجر هذه الألواح وما كان فيهم الغراب إلا الأمر الناهي وإن هم إلا عبيد مناكيد.

ضحك يملء فمي دون أن أتوقف..

- إنه آت...

يا ... ها... ولأنك

الطوفان آت... يا... أيتها...

اسمعوا مني...

الطوفان آت... آت

قد حذرت...



## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

قد أندرت...  
إني ذاهب لأصنع الفلك...  
الطوفان آت... الطوفان آت...  
واصنع الفلك بأعيننا ووحينا...  
وأقبلت المدينة من بعيد وقد نهضت لتوها من سباتها لم تكن في حاجة لأن تفرك  
عينها لقد فركتهما الدهشة... مرت فصك وجهها في جرة... مرعدة... مزيدة... ترمي  
من عينها شررا كأنه جمالات صفر... ويل يومئذ للمغترين... ومن فمها شواظا من  
لهب وفتانة... ويل يومئذ للمنبطحين...  
وأقبل الغراب من بعيد حسيرا يحجل في قيد مثقلا بصخرة كبيرة قيده فيها الفئران  
النسور جزاء... نكالا... وفاقا...<sup>39</sup>.

تتعدد الاقتباسات من النص الديني وتتنوع، يختار منها الروائي ما يتفاعل  
وفكرته المراد التعبير عنها، إذ يميل الروائي "عز الدين جلاوي" إلى اللعب باللغة،  
وإن كانت بعض نصوصه تصطنع بالصيغة التقريرية المباشرة الناقدة للواقع، المحيلة  
إلى تأويلات تكشفها القراءة الفاحصة المتعمقة، هذا الاستدعاء للنص الديني والكلمة  
وكذا اللفظ يساهم في إيجاز العبارة وإعطائها بعدا دلاليا كي "تصبح الرؤية تعرية  
للأعماق"<sup>40</sup>.

يحيل هذا النص إلى قصة سيدنا نوح مع الطوفان، وكيف صنع الفلك التي  
نجت عباد الله الصالحين وكان مصير الأعداء أي: أعداء الإسلام أن جرفهم الطوفان  
وبالتالي الموت.

وهو مؤشر دلالي يحيل على تماثل النص المستثمر والنص الروائي، ويلقى به  
بين أحضان النص الجديد مستمدا منه طاقة تعبيرية جديدة، ووعيا يسهم في إنتاج  
مختلف الدلالات "لم أتحرك من مكاني لقد انتحيت ركنا قصيا جمعت فيه الألواح  
وشحذت الآلات وشرعت في العمل... الطوفان على الأبواب... إنه لا بد أن أعجل  
ومع كل ضربة منشار أو مطرقة يتناهى إلي صوت المجذوب...

- الطوفان قادم... الطوفان قادم...

واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الغافلين الضالين... السامدين...  
التائهين... المدهنين...

وتخيلته يهدر... أمواجه كقطع الليل المتلاطمة ويبتلع المدينة في طرفة عين كأن لم تكن بالأمس.

- لا عاصم من الطوفان إلا الفلك... لا عاصم من الطوفان...<sup>41</sup>.

ولهذا التضمين دلالات متنوعة تشير في معظمها إلى الاستبداد والظلم الذي يعيشه المجتمع العربي وخصوصا الجزائري، فالطوفان رمز للهلاك الذي أصاب قوم سيدنا نوح نتيجة كفرهم وعدم إيمانهم بالرسالة التي أتى بها سيدنا نوح، أما الفلك فدلالة على النجاة والعفو والتسامح والإيمان، فكان أن نجّاهم سبحانه وتعالى، ونتيجة ذلك أن كل محارب للإسلام والمسلمين فمصيره الهلاك دنيا وآخرة، وهو ما يبينه المقطع الأخير من القصة: "قال الراوي قالت دنيا زاد قال دمنة بسند صحيح:

- إنه ما إن استوت السفينة كالطود العظيم وأخذت زحرفها واينت وظن الخراصون أنها لعبة أطفال أتاها أمر الطوفان ففار التثور واندلقت صهاريج السماء بماء كالحميم يشوي الوجوه وساء مشربا... يتجمع ويتعالى... يهدر ويرغد... يعصف ويزيد... يغتال كل ما أمامه... يصهر الحجارة... ومسح المدينة كأن لم تغن الأمس وهلك الجميع... الغراب... ولعن... ووكر النسور أقصد الفئران والثعالب تترى من أقصى المدينة تسعى... المدينة المومس... وأخذانها وقومها إنها وقومها كانوا خاطئين... ظالمين... جبارين... مستكبرين... مفسدين... ضالين... مظلمين ولم ينج من ذلك إلا هو وما آمن معه آخر"<sup>42</sup>.

هذا التعالق النصي والانفتاح على النص الديني جسد علاقة قائمة بين خطابين متكاملين وهما يمثلان النص الحاضر والنص الغائب باعتبار "عملية التفاعل النصي من الأمور الضرورية في الإنتاج النصي، إذ لا يمكن أن يتأسس كيفما كان جنسه أو نوعه أو نمطه إلا على قاعدة التفاعل مع غيره من النصوص"<sup>43</sup>.

أي: أن النص لا تتحدد معالمه الكبرى إلا من خلال العلاقة التي تربطه مع غيره من النصوص فنجد في استثمار الروائي "عز الدين جلاوي" النص القرآني لا لاستعادته وتكراره بل الانتقال به إلى أبعاد دلالية أخرى مرتبطة بالواقع الأزوم عبر الخيال الذي "لا تنحصر فعاليته في مجرد الاستعادة الآلية لمدرجات حسية ترتبط بزمان ومكان بعينه، بل تمتد فاعليته إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك، فيعيد تشكيل المدرجات ويبني عليهما عالما متميزا في جدته وتركيبه"<sup>44</sup>.

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

هذا ما منح قوة أسلوبية وبلاغية سواء كان استدعاء قصص (كقصص الطوفان وسفينة سيدنا نوح) أو اقتباس للغة القرآنية في الوصف والتشخيص.

وما أثار انتباهنا هو قدرة الكاتب على كسر الحدود بين اللغات (بين اللغة اليومية واللغة القرآنية)، فلا توضع الآيات بين مزدوجتين، والهدف من ذلك استراتيجية تمكن من تداخل الرواية من أجناس أخرى، وهذا ما سنعرض له في نماذج أخرى زادت النص رونقا وجمالا ورمزا، وأحيانا أخرى تقحم في النص فتتحرف به إلى منطقة اللاتأويل، ويشوب النص الالتباس معجميا ودلاليا.

يقول الروائي: "... وهل هناك أعظم من إله نصنعه بأيدينا... نتحته بأظافرنا... ننفخ فيه من أرواحنا؟؟؟ ولقد سماه لعن السامري ولكنني استقبحت هذا الاسم الشنيع، واخترت له اسما رائعا... إنه قبحون... قبحون العظيم..."

قال أحدهم:

- لن نبرح عاكفين...

وقال ثان:

- هذا إلهكم وإله آبائكم الأولين...

وقال الغراب:

وعجلت إليك إلهي لترضى...

وخر إلى الأذقان يجأر فخرؤا معه ساجدين جائرين... ولهج بالورد المورود فلهجوا خلفه مريدين<sup>45</sup>.

ضمن هذا المقطع تحوير للنص الديني وإسقاط لجانبه الإيجابي المتمثل في عبادة الأصنام لينتقل إلى الجانب السلمي المتمثل في شخصية لعن السامري و"قبحون العظيم" و "الغراب" هذه الأجساد الميتة المتعفة الموحية بالموت والفناء وهنا إحياء وعملية استبدال تعبر عن تعفن الواقع الذي أتى على الأخضر واليابس أي: لم يجن منه الإنسان إلا الفقر، الجوع، الضياع، الغربة والاعتراب، ليظل النص القرآني قبلة المبدعين، بل هو "عنصر لغوي مدعم للاستدعاء"<sup>46</sup>، يقوم الروائي باستدعائه للتعبير عن دلالة معينة، يستلهمه ليكتف من خلاله موقفه ويعبر عن رفضه للوضع السائد.

### خاتمة:

إن اقحام النصوص الدينية المختلفة في نص سردي واحد يحيل إلى تسجيل خروج النص عما وضع له من بعد دلالي تبعثر بين هذه النصوص، وبعد جمالي

تجلى في اختزال لمعاني كثيرة في كلمات قليلة (الإيجاز) ،وهنا تكمن بلاغة النص القرآني، وقد جاء في البلاغة العربية "خير الكلام ما قل ودل"، والنص بهذا عبارة عن تجميع لنصوص تستدعي نص واحد يحسن الروائي اختياره يكمن في معنى واحد وهو رفض واقع الفساد الذي تعيشه الدول العربية وخاصة الجزائر موطن الروائي ، محاولة منه كسر قوانين اللغة ونظمها المبنية عن طريق كسر أفق القارئ رغبة في إيقاظ ضمائر الشعوب عن طريق التغيير.

### نتائج وآفاق:

- حظي الخطاب القرآني في الرواية الجلاوجية الجزائرية بحضور مكثف، ذلك أنه ارتبط بمختلف الخطابات خاصة السياسي والاجتماعي والثقافي؛ إذ أنه كان أداة ضمن جملة الأدوات التي سخرها الروائي رغبة في كسر الحواجز والقيود.
- جاء الخطاب القرآني واعيا قصد من خلاله جلاوجي الكثير من الدلالات التي شكلت حضورها بشكل متعدد الأوجه.
- يمكننا القول أن النص القرآني في العمل السردي حرك خيال المتلقي نحو الثقافة الدينية كما استطاع في الوقت عينه أن يطبع النص بطابعي الانفتاح والاستمرارية ما ولد في النص الحاضر فاعلية الخلق الفني.
- والروائي الجزائري "عز الدين جلاوجي" أحد هذه الأصوات التي اقتحمت مجال الإبداع الروائي متخذاً من الرفض سمة بارزة نتيجة الظروف التي تحيط به، فينتشر الرفض على مدى رواياته التي عكست رؤية تطلعه إلى تغيير الواقع، يتجاوز الأساليب البلاغية المعهودة والاستفادة من التقنيات الحديثة التي تعتمد على تراسل معطيات الحواس والثنائيات الضدية، فيبرز في توظيف الرمز بمختلف أنواعه.
- كان لتقافته الإسلامية (الروائي) أثرها البارز في اختياره للرموز الدينية، حيث استقى من التاريخ الإسلامي رموزه وشخصياته.

## تمثل الخطاب القرآني في روايات "عز الدين جلاوي"

### الهوامش:

- <sup>1</sup> - علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، د.ط، ص75.
- <sup>2</sup> - موسى ربابعة، التناسخ في نموذج من الشعر العربي الحديث، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، 2000، إربد، ط 1، ص 80.
- <sup>3</sup> - سعيد سلام، التناسخ التراثي - الرواية الجزائرية نموذجاً-، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ط 1، ص 106.
- <sup>4</sup> - عز الدين جلاوي، العشق المقدس، دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ط1، ص09.
- <sup>5</sup> - عز الدين جلاوي، المرجع السابق، ص 10.
- <sup>6</sup> - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ط 1، ص 140.
- <sup>7</sup> - عز الدين جلاوي، سرادق الحلم والفجيرة، دار المنتهى للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، د.ب، ص52.
- <sup>8</sup> - ينظر ظاهر محمد الزواهره، التناسخ في الشعر العربي المعاصر، دار حامد للنشر، الأردن، 2013، ط1، ص 86.
- <sup>9</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 83.
- <sup>10</sup> - ينظر لحسن البنداوي وآخرون، التناسخ في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد2، 2009، ص 246.
- <sup>11</sup> - عاطف نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، 1987، ط1، ص 35.
- <sup>12</sup> - عز الدين جلاوي، العشق المقدس، ص 34-35.
- <sup>13</sup> - عز الدين جلاوي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 91-92.
- <sup>14</sup> - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص 78.
- <sup>15</sup> - عز الدين جلاوي، الأعمال الروائية غير الكاملة، دار الأمير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ط1، ص 483.
- <sup>16</sup> - عز الدين جلاوي، العشق المقدس، ص 77.
- <sup>17</sup> - عز الدين جلاوي، المصدر نفسه، ص 81.
- <sup>18</sup> - جوادي هنية، التعدد اللغوي في رواية "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف" لواسيني الأعرج، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، جانفي 2010، العدد 6، ص 09.
- <sup>19</sup> - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص 90.
- <sup>20</sup> - عز الدين جلاوي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 34-54.
- <sup>21</sup> - نبيلة إبراهيم، فن القص، مكتبة غريب، القاهرة، 1992، د.ط، ص 198.
- <sup>22</sup> - نبيلة إبراهيم، المرجع نفسه، ص 216.
- <sup>23</sup> - علي جعفر العلق، الشعر والتلقي دراسة نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، د.ب، ط2، ص 194.

- <sup>24</sup>- عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 13.
- <sup>25</sup>- حبيب مونسي، النقد الألسني التلقي، الاعتقاد، اللبس، كتابات معاصرة 38، المجلد العاشر، آب أيلول، 1999، ص 99.
- <sup>26</sup>- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، 1997، ط2، ص 75.
- <sup>27</sup>- أمنة الربيع، البنية السردية للقصة القصيرة، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، 2005، ط1، ص 60.
- <sup>28</sup>- محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010، ط4، ص 82.
- <sup>29</sup>- جمال مباركي، التناس وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر، 2003، دط، ص 167.
- <sup>30</sup>- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص 269، نقلا عن جمال مباركي، التناس وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص 173.
- <sup>31</sup>- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية، ليبيا، 1998، ط1، ص 112.
- <sup>32</sup>- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989، دط، ص 22.
- <sup>33</sup>- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص 140.
- <sup>34</sup>- ينظر حصة البادي، التناس في الشعر العربي الحديث (البرغوثي أنموذجا)، دار كنوز المعرفة للنشر، الأردن، 2009، ط1، ص 38.
- <sup>35</sup>- نور الدين صدوق، البداية في النص الروائي، دار الحوار، اللاذقية، 1994، ط1، ص 36.
- <sup>36</sup>- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 07.
- <sup>37</sup>- الهادي صلاح الدين، الأدب في عهد النبوة والراشدين، مكتبة الخفاجي، القاهرة، 1987، ط3، ص 84.
- <sup>38</sup>- عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ط1، ص 40-41.
- <sup>39</sup>- عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 129-130-131.
- <sup>40</sup>- صلاح فضل شفرات النص، دار الأدب، بيروت، 1999، ط1، ص 88.
- <sup>41</sup>- عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 131-132.
- <sup>42</sup>- عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 133.
- <sup>43</sup>- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردية، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1992، ط1، ص 278.
- <sup>44</sup>- حميد لحميداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2003، ط1، ص 183.
- <sup>45</sup>- عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 14-15.
- <sup>46</sup>- عز الدين جلاوجي، سرادق الحلم والفجيرة، ص 18-19.